اسباب الهوى والاهو فيما كانت النفس راغبة فيه ولا بد له من طعمة حلال لا يزهد
العلم وعلامة ذلك الحلال المطالبة عنه وحلول العلم فيه يكون بسبب مباح وامن
فيه حكم الشرع ولا بد له من فرج طاهر يوازره على حاله وعلامة الفرج الصالح معاونته
على البر والتقوى وضده ايضا عن الاثم والعدوان فهذه الخصال السبع قوت لهذه
الاقوام لها لا بد لهم ويستعينون على هذه السبع باربع من اساس بنيانه وبها قوته
اركانه وهي الجوع ثم السهر والصمت ثم الخلوة فهذه الاربع تحقق النفس وضعفها
وضمر النفس وذبولها حتى تضعف صفاتها وعليهن تحسن معاملتها ولكل واحدة
من الاربع صفة في القلب حسنة فاما الجوع فانه ينقص دم القلب فيبيض وفي
بياضه نوره وتذيب شحم الفؤاد وفي ذوبه رقته ورقته مفتاح كل خير لان في
القسوة مفتاح كل شر واذا نقص دم القلب ضاق مسلك العدو منه لان دم القلب
مكانه فاذا رق القلب ضعف سلطان العدو منه لان في غلظ القلب سلطانه
والفلاسفة يقولون ان النفس كلية الدم وحجتهم في ذلك ان الانسان اذا مات
لم يفقد من جسمه الا دمه مع روحه اولوا العلم منهم قالوا الدم هو مكان النفس
وهذا هو الصحيح لانه مواطئ لما في التوراة سمعنا ان في التوراة يا موسى لا تاكل
العروق فانها ماوى كل نفس وهذا مصدق لحديثنا الذي روي ان الشيطان يجري من
ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش **وقد عبر** علماء الكوفة
عن الدم بالنفس فقالوا اذا مات في الماء من الهوام ما ليس له نفس سائلة لم ينجس
يعنون الخنافس والهوام والعناكب ففي الجوع نقصان الدم ونقصانه ضيق مسالك
العدو وضعف مسكن النفس لسقوط مكانها وفي خبر عن عيسى عليه السلام يا معشر
الحواريين جوعوا بطونكم وعطشوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله
عز وجل يعني بحقيقة الزهد وصفاء القلب فالجوع مفتاح الزهد وباب الاخرة
وفيه ذل النفس واستكانتها وضعفها وانكسارها وفي ذلك حياة القلب وصلاحه
واقل ما في الجوع ايثار الصمت وفي الصمت السلامة وهي غاية العقلاء **وقال**
سهل رحمه الله اجتمع الخير كله في هذه الاربع خصال وبها صار الابدال ابدالا اخماص
البطون والصمت والسهر والاعتزال عن الناس وقال من لم يصبر على الجوع والذل
لم يتحقق بهذا الامر وكان عبد الواحد بن زيد يحلف بالله ما تحول الصديقون الابدال
بالجوع والسهر فانه ينير القلب ويجلوه وفي استنارته معاينة الغيب وفي
جلائه صفاء اليقين فيترقى الاستنارة والجلاء على البياض والرقة فيصير القلب
كانه كوكب دري في مرآة مجلوة فيشهد الغيب بالغيب فيزهد في العاجل لما عاين
من الباقي وتقل رغبته في عاجل حظوظ هواه لما ابصر من وبال العقاب ويرغب
في الطاعات لمشاهدة الاخرة ورفيع الدرجات فيصير الاجل عاجلا ويكون العاجل

غايبا

غايبا ويصير الغايب حاضرا والحاضر افلا فلا يحب الافلين ولا يتبعه ويطلب الاجل ويرغب
فيه وينكشف له عوار الدار وتظهر له بواطن الاسرار ويزول عنه كامن الاغترار فهنالك
صار العبد مومنا حقا بوصف حارثة الانصاري اذ يقول عزفت نفسي عن الدنيا
وكانني انظر الى عرش ربي تعالى بارزا وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون والى اهل
النار يتعاوون وكذلك وصف الرسول صلى الله عليه وسلم قلب المومن في قوله القلوب
اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فكذلك قلب المومن وانما اجرد القلب بالزهد في الدنيا وتجرد
من الهوى وسراجه الذي يزهر فيه نور اليقين به يرى الغيب وقال بعض علماء الشام من
سهر اربعين ليلة خالصا كوشف بملكوت السماء وكان يقول اجتمع الخير كله في
اربع ذكر منها سهر الليل **واعلم** ان نوم العلماء عن غلبة المنام بعد طول السهر
من القيام وكذلك شغفه بهم وشهوده وتقربه لهم منه وورود من صفته لاجل ان يكون
اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة ومن سهر بالليل لاهل الحبيب لم يجد التعب
بالنهار لسهره بالليل في خدمته ودخل الحسن ذات يوم الى السوق فسمع لغطهم
وكثرة كلامهم فقال اظن ليل هولاء ليل سوء ما يقيلون **وفي الخبر** قيلوا
فان الشيطان لا يقيل واستعينوا على قيام الليل بقائلة النهار **وقد قيل**
في قوله عز وجل واستعينوا بالصبر والصلاة قيل بالصوم على قيام الليل وقيل
استعينوا بالجوع وصلاة الليل على مجاهدة النفس وقيل استعينوا بالصوم
والصلاة على اجتناب النهي **واما الصمت** فانه يلقح العقل ويعلم الورع
ويجلب التقوى ويجعل الله عز وجل به للعبد التاويل الصحيح والعلم الرجيح [illegible]
ويوفقه فائدة الصمت للقول السديد والعمل الرشيد وقد قال بعض السلف تعلمت
الصمت خصلتان حصلتا في جميع كلامنا سنة كنا اذا هممنا بالكلمة [illegible]
فيسكتنا وقال بعضهم جعلت على نفسي بكل كلمة اتكلم بها فيما لا يعنيني صلاة ر
ركعتين فسهل ذلك علي فجعلت على نفسي بكل كلمة صوم يوم فسهل علي فلم انته
حتى جعلت على نفسي بكل كلمة ان اتصدق بدرهم فصعب ذلك علي فانتهيت وقال
ابن عامر يا رسول الله فيم النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على
خطيئتك وقال صلى الله عليه وسلم في الخبر الجامع المختصر من سره ان يسلم فليلزم الصمت
واوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا في الصلاة والصيام وغير ذلك ثم قال في
اخر وصيته الا ادلك على ما هو املك لك من ذلك كله هذا واومى بيده الى لسانه فقلت
يا رسول الله وانا لمواخذون بما نتكلم به السنتنا فقال ثكلتك امك يا معاذ وهل
يكب الناس على مناخرهم في جهنم الا حصائد السنتهم انك ما سكت فانت سالم فاذا
تكلمت فانما هو لك او عليك وقال عبد الله بن سفيان عن ابيه قال قلت يا رسول الله
اوصني بشيء في الاسلام لا اسال عنه احدا بعدك فقال قل ربي الله ثم استقم قلت

Copyright © King Saud University